كلمات في التقدّم من المناولة المقدّسة ،الجزء الثاني
المتروبوليت سابا (اسبر)

ثمّة اليوم خلط شائع في أوساط المؤمنين بين الاستحقاق والاستعداد. فمن يمتنع عن التقدّم من كأس المناولة المقدّسة بداعي عدم الاستحقاق يخلط بين الاستحقاق والاستعداد. ما من بشر مستحقّ أن يسكن الله فيه ويتّحد به. مَنْ مِنَ البشر كامل الطهارة والنقاوة وبدون خطيئة؟ ما من إنسان مستحق لهذه النعمة الكبرى. فسكنى الله بيننا وفينا إنّما بسبب رحمته الغامرة ومحبّته القصوى وتنازله الذي لا يُدرَك بالعقل البشري. ولذلك لن يأتي وقت أكون فيه مستحقاً لهذه النعمة الكبرى (الإفخارستيّا). لا بل حينما أعتقد أنّني صرت مستحقاً أكون قد سقطت السقطة الكبرى، أيّ وقعت في الكبرياء أمّ كلّ الشرور.

أمّا الاستعداد فهو العمل على أن أحضّر ذاتي لاستقبال الرب. فكما يستعد الإنسان لاستقبال شخص عظيم في بيته بتنظيف وترتيب ذاته وبيته وبلباس مرتب كذلك يستعد المؤمن لاستقبال الرب في كيانه. أتقدّم بروح الانسحاق والاقتناع بأنّني خاطيء ولست مستحقاً أبداً، ولكن رحمة الله الواسعة تجعلني أتقدّم متّكلاً عليها. ولأنّ الله رحوم إلى هذه الدرجة ألزم نفسي بالاستعدادات التي وضعتها الكنيسة بعامّة، ووضعها لي شخصيّا أب اعترافي، وذلك حتّى لا أتراخى وأطمع برحمة الرب، وأنسى واجبي في السعي إلى خلاص نفسي.

لقد وضعت الكنيسة انطلاقاً من تعليم الإنجيل عدّة أمور مساعدة في الاستعداد المناولة. فهناك سرّ الاعتراف، وصلاة قبل المناولة المعروفة بـ "المطالبسي"، والمصالحة مع الخصوم، وإصلاح الأخطاء المرتكبة، إضافة إلى الصوم بالانقطاع عن أي طعام أو شراب من منتصف الليلة السابقة للقدّاس الإلهي، والمشاركة في القدّاس الإلهي من أوّله .... والالتزام بهذه التعليمات شرط لازم وضروري للتقدّم من جسد الرب ودمه.

يقول الرسول بولس في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس: "من أكل هذا الخبز، أو شرب كأس الرب، بدون استحقاق، يكون مجرماً في جسد الرب ودمه"(١كو١١/٢٧). ما العمل إذاً؟ يجيب الرسول: "ليمتحن الإنسان نفسه، هكذا يأكل من الخبز ويشرب من الكأس"(١كو ١١: ٢٧-٢٩).

أمّا العلاقة بين سرّي الإفخارستيّا والتوبة والاعتراف فهي ليست علاقة قانونيّة وإنّما حياتيّة عمليّة. بينما يطالب بعضهم بعدم التقدّم من الإفخارستيّا إلّا بعد الاعتراف، لا يرى بعض آخر ضرورة هذا الربط بشكل قانوني. فأن تتناول باستمرار ولا تعترف البتّة أمر لا يجوز بتاتاً. وأن تتقدّم من سرّ التوبة والاعترف قبل كلّ مناولة، بشكل متواتر فأمر يصعب تطبيقه حتى في الحياة الديريّة. يبقى السلوك الأفضل أن تتقدّم من سرّي الاعتراف والافخارستيّا وفق إرشاد أبيك الروحي.

لا تنسى أن تفحص ضميرك جيّداً عشيّة القدّاس، هذا الفعل يضعك على السكّة الصحيحة، ويقيك من رتابة الوقوع في المناولة، ويُبقي شعلة الشوق إلى المسيح مستعرّة في داخلك.

تقدّم من الأسرار الإلهية وأنت منسحق القلب ومقتنع بأنّك لا تستحقّ لأنّك خاطئ، واعتمد كلّياً على رحمة الرب قائلاً : "يا رب لست مستحقاً أن تدخل بيتي، لكن رحمتك الواسعة تدفعني لأن أقترب منك". تقدّم بخوف الله. ذلك الخوف الذي يوجد عند المحبّين كي لا يخسروا محبوبهم. خوف الله يبقيك في شركة دائمة وحارّة معه. تقول صلاة المطالبسي: "إذا عزمت أيها الإنسان أن تأكل جسد السيد. تقدّم بخوف كي لا تحترق لأنّه نار. وإذا عزمت أن تشرب الدم الإلهي للشركة. اصطلح أوّلاً مع الذين أحزنوك. ثم كُلْ الطعام السرّي واثقاً".